التصانيف المخطوطة لأسرة ابن عمر الضمدي

أحمد بن محمد أحمد الميشني

كلية اللغة العربية – فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – أبها

مقدمة

شهدت أرجاء جنوب الجزيرة العربية حركة علمية بارزة نتج عنها كثرة الحلقات العلمية وانتشار التأليف في جميع العلوم والمعارف.

وفي الواقع أن هذه الحركة العلمية قامت على أكتاف أسر معروفة في جنوب الجزيرة العربية، ولا أريد هنا أن أعدد هذه الأسر، وإنما أكتفي بالحديث عن أسرة من تلك الأسر، وينصب الحديث هنا عن مؤلفاتهم المخطوطة ومضمونها وأماكن توزيعها.

أسرة آل ابن عمر الضمدي

أسرة علمية شهيدة توارث أبناؤها خدمة التعليم منذ أوائل النصف الأول من القرن العاشر الهجري حتى عصرنا الحاضر، وبرز منهم فطاحل العلماء ممن أسهموا في إنارة الفكر البشري بمصنفاتهم في مختلف الفنون.

وتنسب هذه الأسرة إلى «الحكم بن سعد العشيرة» من قبيلة مذحج العربية، فهم ينتسبون إلى محمد بن علي بن عمر بن إبراهيم بن عثمان بن محمد بن أبي بكر ابن علي بن محمد بن عبدالله بن عبدالواحد بن محمد ابن علي بن سليمان بن عوف بن محمد بن ميشن بن سليمان بن شراحيل بن كعب بن عبس بن المحجم بن عوف بن مضة بن سفيان بن سلهم بن الحكم بن سعد العشيرة ابن مذحج بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب ابن يعرب بن كهلان بن سبأ(١).

وقد أشاد بهذه الأسرة عدد من العلماء والمؤرخين منهم «عبدالرحمن بن أحمد البهكلي» في كتابه «نفح العود» إذ سماهم بـ «العمريين حملة العلم»(٢). وقد قال عنهم العقيلي: «أسرة معروفة بالفضل والأدب وأنيط بغير واحد من أبنائها وظيفة القضاء الشرعي من القرن العاشر الهجري إلى عصرنا الحاضر»(٣)، وقد ترجم المؤرخ «زبارة الحسني» في كتابه «نيل الوطر في تراجم رجال القرن الثالث عشر» المطبوع لعدد من علماء هذه الأسرة، وجاء بعده خير الدين الزركلي فترجم في كتابه «الأعلام» لعدد وافر من علمائها وكان «محمد بن علي الشوكاني» المتوفى عام ١٢٥٠هـ في كتابه «البدر الطالع» قد ترجم لعدد من علمائها أيضًا، وكان قد سبقهم «عبدالله بن علي النعمان» المتوفى عام ١٠٧٨هـ فترجم في كتابه «العقيق اليماني» المخطوط لبعض علمائها وأتى بعده «الحسن بن أحمد الضمدي» الشهير بعاكش المتوفى سنة ١٢٩٠هـ فترجم في «الديباج الخسرواني» و«حدائق الزهر» و«عقود الدرر» لبعض علماء أسرته، هذا بالإضافة إلى تراجم ابن أبي الرجال الصنعاني في كتابه المخطوط «مطلع البدور ومجمع البحور»، وكذلك فعل «علي بن محمد النعمان» في كتابه المفقود «شرح الصادح والباغم في تاريخ ضمد».

ومن أشهر أعلام هذه الأسرة :

١ - محمد بن علي بن عمر الضمدي (٨٨٣ - ٩٩٠هـ) .

٢ - أحمد بن عبدالله بن عبدالعزيز الضمدي (١١٧٤ - ١٢٢٢هـ) .

٣ - أحمد بن علي بن أحمد الضمدي (١٢٠١ - ١٢٧٤هـ) .

٤ - الحسن بن أحمد بن عبدالله الضمدي (١٢٢٢ - ١٢٩٠هـ) .

٥- يحيى بن أحمد الضمدي (١٢١٨ - ١٢٤٣هـ) .

وغيرهم من علماء هذه الأسرة

ويدرك الناظر في تراث أسرة آل ابن عمر الضمدي مدى الإهمال الذي أصابه، فقد ضاع الكثير من مؤلفات علماء هذه الأسرة وما وجد منها لا يمثل في نظري إلاّ الربع منه، وهو يدور غالبًا في العلوم الشرعية واللغوية وهي .

١ - العلوم الشرعية

أولاً - التفسير .

ومن ألّف فيه من علماء هذه الأسرة «الحسن بن أحمد الضمدي» الشهير بعاكش المتوفى سنة ١٢٩٠هـ، فله تفسير ضخم يعرف بـ «فتح المنان بتفسير القرآن» ويقع في مجلدين حاول فيه الاختصار بذكر القول الراجح، وقد يذكر فيه الرأيين والثلاثة . كما يشير فيه إلى القراءات والإعراب، مكث في جمعه مدة من الزمن تقرب السنوات الأربع، فقد شرع فيه عام ١٢٧٢هـ وانتهى منه ١٢٧٦هـ، ومن أجمل ما في الكتاب عدم اعتماده على آراء الإسرائيليين كغيره من المفسرين؛ بل يناقشها، ويرد عليها بأسلوبه كما يظهر في كثير من مواضع الكتاب .

والمخطوط يوجد منه نسخة نادرة أصلية خطية لدى أحد أحفاد المؤلف، وهو الشيخ يحيى بن أحمد عاكش في مكتبته الخاصة بضمد ومنها نسخة مصورة في مكتبة الباحث .

ثانيًا - التوحيد .

ومن ألف فيه «الحسن بن أحمد عاكش الضمدي» المتوفى سنة ١٢٩٠هـ، فله كتاب يعرف بـ «جواهر القلائد في معرفة العقائد» (٤) بحثت عنه فلم أعثر له على أثر .

ثالثًا - الحديث وعلومه .

ومن ألف فيه من علماء هذه الأسرة، الفقيه «أحمد بن عبدالله الضمدي» المتوفى سنة ١٢٢٢هـ، فله كتاب يسمى «مشارق الأنوار المنتقي من صحيح الآثار» شرح فيه كتاب الأزهار للإمام أحمد بن يحيى المرتضى، والكتاب يقع في مجلدين في ٤٠٠ ورقة، وقد بسط فيه لمسائل الفقه، ويورد اختلاف العلماء ويرجح القول الراجح مما يدل على تمكن صاحبه من العلم . منه نسخة خطية في جامع صنعاء الغربي القديم تحت رقم ٧٢، مصور على ميكروفلم في مكتبة الباحث، وممن ألف فيه أيضًا الفقيه «أحمد بن حسن الضمدي» فله كتاب «منحة الصمد في الميسور من حديث ضمد» تعرض فيه لقول الرسول ﷺ «اتق الله ولا يضيرك أن تكون بجانب ضمد» ويقع فيما يقارب عشر ورقات، منه نسخة محفوظة في مكتبة الشيخ يحيى بن أحمد عاكش، ونسخ أخرى مصورة في مكتبات خاصة .

رابعًا - الفقه .

ونجد فيه عدة رسائل لعلماء هذه الأسرة ومنهم الفقيه «أحمد بن عبدالله الضمدي»، المتوفى سنة ١٢٢٢هـ، ومن رسائله في الفقه «رسالة في حكم يوم الشك» (٥) وهي مفقودة و «رسالة في حكم التنباك» (٦) جزم فيه بالتحريم، وهي مفقودة و «رسالة في حكم قاتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب» (٧) مفقودة أيضًا، كما أنه له رسالة في حكم اختصار كتابة صلى الله عليه وسلم بعثها إلى شيخه الشوكاني وأجاب عليه برسالة مطولة سماها «عقود الزبرجد في جيد مسائل علامة ضمد» (٨) وفي القرن الثالث عشر الهجري نجد لـ «الحسن بن أحمد عاكش» كتاب «نزهة الأبصار من السيل الجرار» (٩)،

استوعب ما في السيل الجرار «للشوكاني» من المسائل الفقهية وحذف ما أثار نقد الناس وهو مفقود، كما أن له «إرشاد الراغبين في الفقه»(١٠) وهو مفقود، وله «شرح منظومته متن الدرر البهية»(١١) مفقود أيضًا، وله رسالة في وجوب قراءة الفاتحة على المأموم(١٢).

اللغة العربية وعلومها

أولاً - النحو.

ومن ألف فيه من علماء هذه الأسرة، الفقيه «أحمد بن عبدالله الضمدي» المتوفى سنة ١٢٢٢هـ، فله شرح على «ملحمة الإعراب»(١٣) للحريري في مكتبة الحسن الفائمي نسخة نادرة منه.

ثانيًا - اللغة.

ونجد فيها رسالة للفقيه أحمد بن عبدالله الضمدي في علم الاشتقاق وهي مفقودة.

ثالثًا - البلاغة.

ومن ألف فيها الفقيه عاكش الضمدي، فله «روض الاذهان شرح نظم المدخل في علم المعاني والبيان»(١٤) وقد حظي هذا الكتاب بالقبول لدى علماء تهامة وقرظه جماعة من أدبائها وهو مفقود.

كما نجد له «الكواكب السيارة المشرقة على الأقوال المختارة في نظم معاني الاستعارة»(١٥) وهو مفقود.

رابعًا - الأدب.

ونجد فيه مجموع شعري لابن عمر الضمدي المتوفى سنة ٩٩٠هـ، يضم بعض إنتاجه الشعري؛ منه نسخة خطية في مكتبة الشيخ علي أبو زيد الحازمي بضمد(١٦) مصور في مكتبة الباحث، وله القصيدة اللامية في الاستسقاء وهي مطبوعة(١٧). كما نجد للفقيه «أحمد بن عبدالله الضمدي» المتوفى سنة ١٢٢٢هـ مجموعة رسائل نثرية متبادلة مع أمراء الدولة السعودية الأولى، بعض هذه الرسائل في مكتبة أبي زيد الحازمي بضمد لايزال مخطوطًا وبعضها مطبوعًا(١٨). كما نجد لـ «الحسن بن أحمد بن عبدالله الضمدي» الشهير بعاكش المتوفى سنة ١٢٩٠هـ، شرحًا على «لامية العرب» للشنفرى، وهذا الشرح مفقود، وعلى ما يبدو أن هذا الشرح قد حفل بجملة من الأخطاء مما دعا اللغوي «محمد محمود التركزي الشنقيطي» المتوفى سنة ١٣٢٠هـ أن يؤلف كتابه المخطوط «إحقاق الحق وتبريء العرب مما أحدث عاكش في لغتهم ولامية العرب» تحامل فيه على عاكش كثيرًا، غفر الله لهما فالعالم يخطئ ويصيب، وعادة العلماء توضيح الخطأ لا السب والشتم والعلم عند الله(١٩).

ولعاكش أيضًا «ديوان شعر» منه نسخة خطية في مكتبة جامعة الملك سعود بالرياض، ضمن مجموعة الشيخ العقيلي المهداة إليها، وله مجموعة رسائل نثرية متبادلة مع علماء عصره، وله مقامة تعرف بـ «فريدة العرائس وبهجة المجالس» وقد ذيّلها «عبدالرحمن بن أحمد البهكلي» بذيل سماه «درر النفائس تقريض بهجة المجالس» ومقامة عاكش وذيل البهكلي في المكتبة الغربية بجامع صنعاء الغربي القديم تحت رقم ٣٥ أدب/ مجاميع(٢٠).

التاريخ

ومن ألف في علم التاريخ وبرز فيه من علماء الأسرة المؤرخ «الحسن بن أحمد بن عبدالله الضمدي»(٢١) المشهور بعاكش (١٢٢١ - ١٢٩٠هـ) فهو يعد مؤرخ المخلاف السليماني في القرن الثالث عشر الهجري، وله عدة كتب في باب التاريخ منها المخطوط ومنها المطبوع، فمن كتب هذا الباب:

١ - «الديباج الخسرواني في ذكر ملوك المخلاف السليماني» تعرض فيه لتاريخ المخلاف في القرن الثالث عشر من سنة ١٢١٧هـ إلى سنة ١٢٧٨هـ، وتعرض فيه أيضًا لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب - يرحمه الله - وانتشارها في جنوب الجزيرة العربية وهو يقع في ٣٥٠

ورقة، وقد نال عليه الباحث السعودي إسماعيل بن محمد البشري درجة الدكتوراه من جامعة درم البريطانية لتحقيقه الكتاب، ولم يطبع.

٢ - «الذهب المسبوك في سير سيد الملوك» ألفه في سيرة الشريف «الحسين بن علي بن حيدر الحسني» منه نسخة في مكتبة جامعة الملك سعود ضمن مجموعة العقيلي المهداة إليها.

٣- «عقود الدرر في تراجم رجال القرن الثالث عشر» منه نسخة خطية في مكتبة جامعة الملك سعود بالإضافة إلى نسخة مكتبة جامع صنعاء الغربي ونسخ أخرى مصورة في مكتبات خاصة من ضمنها مكتبة الباحث.

٤- «حدائق الزهر في ذكر الأشياخ وأعيان الدهر» ترجم فيه لشيوخه وزملائه حققه وطبعه إسماعيل البشري.

٥- «ذيل نفح العود» . . . وهو مطبوع (٢٢).

٦- «الدر الثمين في ذكر مناقب أمير المسلمين» ألفه في سيرة الأمير «محمد بن عائض» أمير بلاد عسير في عصره، وقد نشره الشيخ حمد الجاسر في مجلة العرب، ثم قام الشيخ عبدالله بن علي بن حميد، بنشره وطبعه في سوريا، وهو بحاجة إلى تحقيق علمي جديد موسع.

٧- «قمع المتجزّي على أولاد الشيخ بكري» تحدث فيه عن عدة فوائد في علم الأنساب وضمنه نسب أسرة آل الحفظي المعروفة «برجال ألمع» ويقع في ١٥ ورقة منه نسخة أصلية في مكتبة الشيخ على بن الحسن الحفظي بمدينة أبها، مصورة في مكتبة الباحث.

وبعد؛ فهذه جولة سريعة على تراث أسرة علمية من أسر تهامة، أحببنا التعريف بها وبتراثها، رغبة في نشر العلم.

الهوامش

١- ثبت بنسب آل ابن عمر الضمدي - مخطوط في مكتبة الشيخ يحيى بن أحمد عاكش بضمد، مصور في مكتبة الباحث، ولمن أراد التوسع عن هذه الأسرة وبلدة ضمد ينظر في كتاب «نبذة تاريخية عن التعليم في تهامة وعسير» لحجاب الحازمي وكتاب «الحياة الفكرية والعلمية بجنوبي الجزيرة العربية» لعبدالله أبي داهش.

٢- «نفح العود» للبهكلي، تحقيق الشيخ العقيلي، طبع دارة الملك عبدالعزيز بالرياض، ص١١١.

٣- «أضواء على الأدب والأدباء بمنطقة جازان» للعقيلي ص٤٠.

٤- الحياة الفكرية ص ١٠٩.

٥- مصادر الفكر العربي والإسلامي - للحبشي ص ١٣٧.

٦- المصدر السابق ص ١٣٧.

٧- المصدر السابق ص ١٣٧.

٨- حققها ونشرها هلال إبراهيم هلال ضمن كتابه «أمناء الشريعة».

٩- الحياة الفكرية ص ١٠٦.

١٠- مقدمة كتاب «رسالة في الفاتحة» ص ٧.

١١ - المصدر السابق.

١٢- حققها ونشرها علي أبو زيد الحازمي.

١٣- مصادر الفكر ص ٣٩٠.

١٤- الحياة الفكرية، ص ١٠٧.

١٥- مقدمة «رسالة في الفاتحة» ص ٨ تحقيق أبي زيد الحازمي.

١٦- حققه ويطبعه حاليًا أبو زيد الحازمي.

١٧- حققها ونشرها عبدالله أبو داهش.

١٨- نشر بعضها عبدالله أبو داهش في مجلة العربي.

١٩- في مكتبة الباحث نسخة مخطوطة من هذا الكتاب.

٢٠- فهارس مخطوطات جامع الأوقاف بصنعاء إعداد الرقيمي ٣/ ٧٥٠.

٢١- ينظر في ترجمة (نيل الوطر) الزبارة ١/ ٧٦، أو «الأعلام» ٢/ ١٥٥.

٢٢- طبع كذيل نفح العود، تحقيق العقيلي، نشر دارة الملك عبدالعزيز.